القياس الشعري حسب الفارابي:

قياس فاسد في الشكل الثاني

مارون عواد وغريغور شولر(1)

ترجمة وتقديم فؤاد بن أحمد

تقديم الترجمة

هذه المقالة من تأليف مشترك بين دارسين جادين معروفين، مارون عواد Maroun Aouad (المركز الوطني للبحث العلمي، باريز) وغريغور شويلر Gregor Schoeler (جامعة بازل، بازل). وقد نشرت بالعنوان التالي وفي المجلة التالية:

«Le syllogisme poétique selon al-Fārābī: un syllogisme incorrect de la deuxième figure», *Arabic Sciences and Philosophy*, vol. 12 (2002): 185–196.

ويجدر بنا هنا أن نقدم للقارئ بالعربية السياق النظري الذي جاءت فيه.

كان الدارس الألماني-السويسري غريغور شويلر قد نشر عام 1983 مقالا مطولا بعنوان "Der poetische Syllogismus. Ein Beitrag zum Verständnis der 'logischen' Poetik der Araber" [القياس الشعري. مساهمة في فهم نظرية الشعر 'المنطقية' عند العرب]؛ وقد ظهر المقال في العدد 133 من مجلة *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*. سجّل نشر هذا المقال منعطفا حقيقيا في تاريخ الاشتغال على مفهوم القياس الشعري عند الفلاسفة المسلمين. صحيح أن المفهوم كان معروفا من قبل، إذ كان قد درس في سياق دراسة نسق نظرية الشعر المنطقية في السياقات الإسلامية. لكن الدراسات التي كانت تعاملت مع أهم

سؤال في النظرية - أي ما هو القياس الشعري تحديدا؟- قد أخطأت في نظر غريغور شويلر الطريق إلى تقديم جواب قائم على شواهد نصية. لقد أوْلت هذه الدراسات أهمية كبرى للغرضِ من هذا القياس وللأثر الذي يتركه في ذهن المتلقي، لكنها أغفلت تماما مسألة كيفية بناء هذا القياس. والواقع أن هذه الدّراسات لم يكن بوسعها ذلك، طالما أن الفلاسفة أنفسهم (الفارابي: ت. 339هـ/950م؛ وابن سينا: ت. 428هـ/1037م؛ وابن رشد: ت. 595هـ/1198م) لم يكونوا في شروحهم على **كتاب الشعر** لأرسطو واضحين وصريحين في حديثهم عن القياس الشعري. ومن هذه الزاوية، كان غريغور شويلر سعيد الحظ، إذ اكتشف وصفا صريحا للقياس الشعري، بما في ذلك أمثلته، في كتاب **القياس** لابن سينا. وقد مكنه ذلك الاكتشاف من أن يُبرهن، بناء على عرض ابن سينا، كيفَ ينبغي أن يتم تأليف هذا القياس. سنوات بعد ذلك، اكتشفت الدارسة الكندية ديبورا بلاك Deborah Black (جامعة تورُنتو) وصفا آخر للقياس الشعري عند ابن سينا مرة أخرى. وقد ناقشت د. بلاك بعض الاستنتاجات والأحكام التي أدلى بها شويلر في مقالته السابقة، كما أكملت جوانب أخرى ظلت ناقصة في تحليل مفهوم القياس الشعري عند ابن سينا. وهكذا فقد انتقدت بلاك ادعاء شويلر أن مصطلح 'المقدمة الشعرية' لابن سينا يعني دائما المقدمة الكبرى، أي القضية كلية. وقد كان شويلر قد انتهى إلى هذا الادعاء لأنه لم يكن قد اطلع إلا على الوصف الأول للقياس الشعري عند ابن سينا. وإلى ذلك، فقد دللت بلاك على أن النوع من القياس الشعري الذي اكتشفه شويلر متمركز على الشاعر لكونه يبرز الخطوات الذهنية التي يتبعها هذا الأخير في ابتكاره للاستعارة؛ أما النوع الثاني الذي اكتشفته هي نفسها فقد أظهرت أنه متمركز على المخاطب، لأنه يؤدي بالسامع إلى نتيجة أن "المطلوب" أوصافا بعينها وأنه، من ثم، يجب أن يُطلب أو يُترك. وعموما فقد أسهمت دراسات بلاك

عن القياس الشعري لعامي 1989 و1990 (انظر المعطيات الببليوغرافية في هوامش المقال المترجم) بأفكار جديدة عدة وباكتشافات مهمة وتقدمت خطوات كبيرة بمسار البحث في القياس الشعري عند العرب. لكن د. بلاك قد أخطأت التقدير عندما منعت إمكان أن يوجد لدى أبي نصر الفارابي تصور صريح عن القياس الشعري. ولذلك، فبقدر ما كانت تحليلات بلاك قوية بخصوص ابن سينا كان جزمها بغياب قياس شعري فارابي على طريقة ابن سينا موضع شُبه وشكوك؛ وهو الأمر الذي وقفت عنده هذه المقالة التي نترجمها هنا.

ومن هنا، فقد كان اكتشافُ مارون عواد عرضًا صريحا للقياس الشعري عند أبي نصر الفارابي شاهدا كاسرا لحكم بلاك. وللمرء أن يضيف أن هذه كانت مناسبة لتقويم مناقشة بلاك لآراء شويلر أيضا كما كانت مناسبة لإثبات نسبة **قول في التناسب والتأليف** للفارابي التي كان يوب لامير Joep Lameer قد شكك في أصالتها، كما منع وجود قياسات شعرية في نسق الفارابي المنطقي.

وفي الأخير، فإننا نتصور أن تفيد هذه المقالة جانبا من الدراسات الأدبية والبلاغية التي تهتم، عندنا، بالاستعارة عند الفلاسفة في السياقات الإسلامية، خاصة مع ما لاحظناه من غياب للبعد المنطقي في تحليل إسهامات هؤلاء الفلاسفة. ونشكر بالمناسبة للأستاذ والصديق محمد الولي عنايته بهذه الترجمة وتشجيعنا على نشرها.

نص الترجمة

في مقالته عن القياس الشعري، والتي نشرت عام 1983،(2) لاحظ غريغور شويلر منذ مقدمتها، اعتمادا على شواهد عديدة، أن مفهوم القياس الشعري " إلى حد الآن إما قد أسيء فهمه تماما وإما قد قورب بقليل من التبصّر وفُسر بطريقة غير دقيقة" (3) . وقد كان

السبب في ذلك، كما أوضح شويلر أيضا، هو أن الفلاسفة العرب لم يقدموا عموما أمثلة للقياس الشعري ولم يعرضوا بنيته ولم يفسروها. وقد كان أحد الإسهامين الرئيسين لمقالة شُويلر هو أنها "على الأقل اكتشفتْ عرضا واضحا، مصحوبا بأمثلة، لما هو القياس الشعري"(4). وهذا في **كتاب القياس** لابن سينا (370-428/ 980-1037).

يقترح ابن سينا المثال التالي للقياس الشعري: "فلان قمر، لأنه حسن"(5). والبنية القياسية التي يقيم عليها ابنُ سينا هذا القول، مباشرةً بعد ذلك، هي:

(الصغرى) فلان وسيم

(الكبرى) كل وسيم قمر

(النتيجة) فلان قمر

يتعلق الأمر بقياس من الشكل الأول، غير أنه يتميز عن القياس القطعي المعتاد بمقدمتين جازمتين [assertoriques] بكون كبراه ونتيجته ليستا من القضايا الجازمة، وإنما قضايا تنطوي على صور "شعرية". ولهذا السبب، تسمى الكبرى أيضا "مقدمة شعرية" (أو مقدمة "توقع تخيلا").

عمليا، يكاد القياس الشعري يُقدّم دائما في صورة مختصرة وضمنية، هكذا: "فلان قمر". والقضية السببية (لأنه وسيم) التي يضيفها ابن سينا، في مثاله، بطريقة تُذكر بقياسات الضمير، هي عموما محذوفة تماما عند الممارسة. وإذن، فالصورة الضمنية للقياس الشعري تُرَد في أغلب الأوقات إلى نتيجتها. وهكذا، فإن القياس الشعري هو، إضافةً إلى ما سبق، أكثر اختصارا من القياس الخطابي، الضمير، حيث لا تُحذف إلا مقدمة واحدة.

بعد ذلك فحص شويلر، في هذه المساهمة ذاتها، نقطا أخرى متصلة بالقياس الشعري، كأصوله القديمة ونمط استعماله، والنسق الذي ينتمي إليه (العلاقات مع القياسات الجدلية

والخطابية والسفسطائية)، وكذا مسألة معرفة ما إن كان لمذهب القياس الشعري بعض التأثير على التقليد الآخر في نظرية الشعر، التقليد العربي أساسا (نظرية التخييل).

وقد نُشر، منذ مقالة شويلر، عددٌ من الأعمال عن الموضوع نفسه. ولن نذكر هنا سوى اثنين: عمل سليم كمال، **نظرية الشعر عند الفارابي وابن سينا** (ليدن-نيويورك-كوبنهاجن-كولونيا: بريل، 1991) (6)، وعمل ديبورا ل. بلاك، **المنطق ونظريتا الخطابة والشعر لأرسطو في الفلسفة العربية الوسيطية** (ليدن-نيويورك-كوبنهاكن-كولونيا: بريل، 1990)(7).

الهدف الرئيسي لهذه المقالة هو الإخبار عن اكتشاف تفسير آخر للقياس الشعري، تفسير واضح ومصحوب أيضا بأمثلة، وهذا في نص للفارابي (ت. 339/ 950). و يتبين منه أن تصور الفارابي للقياس الشعري يختلف عن تصور ابن سينا. لكن قبل إخراج المقطع موضع السؤال، من المناسب أن نتحدث قليلا عن بعض نتائج ديبورا بلاك، وخاصة تلك التي تستعيد نتائج شويلر لتُناقشها أو تلك التي تؤدي إلى معارف جديدة.

النتيجة المهمة لعمل بلاك هي أنها اكتشفت، فضلا عن بنية القياس الشعري الذي يعالجه شويلر، أن ابن سينا (8) كان يعرف بنية أخرى مختلفة عن الأولى. المثال القوي الذي يقترحه ابن سينا [مقتبس من بيت شعري لابن الرومي (221هـ-283هـ/836م-896م)] هو:

الورد سُرم بغل قائم في وسطه روث

كل ما هو سُرم بغل بهذه الصفة فهو نجس قذر

(فالورد إذًا نجس قذر)

والآن، إذا أبدلنا هذا المثال بمثال استعارة القمر، فإن القياس المذكور أعلاه:

فلان وسيم

كل وسيم قمر

فلان قمر

وقد صار هذا القياس عند بلاك هكذا:

فلان قمر

كل ما يبدو مثل القمر وسيم

فلان وسيم

عندئذ تصير نتيجة القياس ذي البنية الأولى مقدمة للقياس ذي البنية الثانية.

لا يفسر ابن سينا بوضوح العلاقات بين هذين القياسين، لكن بلاك من دون شك على صواب عندما كتبت بأن البنية الأولى هي "الإبدال الذي يعتبره [=ابن سينا] أساس ادعاء الشعر منزلة منطقية،"(9) بينما تُفسر البنية الثانية كبنية متوجهة نحو السامع ("تأليف متمركز على السامع؛" "تفسير الأثر الفعلي للتخيل في السامع")(10). ففي الواقع، نصادف في الشعر كما في غيره عامة، قضايا من قبيل "فلان قمر،" و"العسل مرة مهوعة"(وليس من قبيل الوسيم قمر، إلخ) . وللسامع أن يستخلص منها نتيجة حول الطابع الجذّاب أو المقزز لفلان وفلان أو هذا وذاك. هذا بالضبط هو "القياس الموجه نحو السامع،" القياس الذي ينشئه السامع ذاته، وتبعا لذلك ينتابه تجاه الشيء المُتخيل إما طلبٌ وإما نفورٌ.

هذه المقاربة منسجمة مع كون ابن سينا نفسه يقدم القضايا من نوع "فلان قمر" على أنها مقدمات شعرية (لا على أنها أقيسة شعرية) وأن الأمر، عموما، في المنطق"الشعري" للعرب، يتعلق بالمقدمات الشعرية أكثر مما يتعلق بالأقيسة الشعرية(11).

وباختصار، فقد تقدّمت ديبورا بلاك خطواتٍ ملحوظةً بمعرفة القياس الشعري للعرب عن طريق اكتشافها وتأويلها لهذه البنية الصورية للقياس الشعري حسب ابن سينا.

كان شويلر قد افترض في مقالته أن الفارابي (وكذا الفلاسفة العرب الآخرين) قد فهم من مفهوم القياس الشعري ما فهمه ابن سينا بالضبط. ووجهة النظر هذه لم تكن اعتباطية كليّة، مادام الفارابي خاصة في عملين وثيقي الصلة بالموضوع الذي يشغلنا هنا، وهما **كتاب الشعر ومقالة في قوانين صناعة الشعر**، لا يقدم مثالا صريحا للقياس الشعري، والحال أنه لا شك في كونه أيضا يعتبر القضيةَ التي تحاكي (الحاملة لصور) قضية قياسية. غير أنه اعتمادا على دعوى الفارابي في **القوانين**، والتي بحسبها يكون القياس الشعري- وكذا الاستقراء والتمثيل وقياس الفراسة- "قياس بالقوة،" صاغ شويلر كذلك فرضية أن القياس الذي يحدده الفارابي بهذه الطريقة يمكن أن تكون له الصورة اللاقياسية التالية:

فلان شجاع

الأسد شجاع

فلان أسد

بما أن الحد الأوسط هو المحمول في المقدمتين، فإن الأمر يتعلق بقياس من الشكل الثاني. غير أنه بما أن المقدمات موجبة، فالقياس غير منتج.

كان شويلر قد دافع أيضا على فكرة أن قياسا فاسدا كهذا، يتحول عن طريق عكس مقدمته إلى "الشجاع أسد"، إلى قياس صحيح من الشكل الأول، إلى قياس باربرا:

فلان شجاع

الشجاع أسد

فلان أسد

ويوضح شويلر: "غير أنه من المهم أن نلاحظ أنه بفعل العكس، تصبح المقدمة الثانية حكما كاذبا (أو بالأحرى حكم يُناقش صوابه). وهذا ينسحب، بالتالي، على النتيجة أيضا"(12).

وقد اعترضت ديبورا بلاك بأن لا وجود لأي دليل نصي على أن الفارابي "قد أضفى في وقت ما على قياسٍ شعري بنيةً صوريةً محددة وخاصة،" على طريقة ابن سينا. لقد ظل مفهوم القياس الشعري، حسب بلاك، في وضعية جنينية من حيث هو مذهب منطقي، موفرا خاصة وسيلة لفهم الفجوة التي تفصل المحاكاة الشعرية عن المعرفة البرهانية لماهية الأشياء(13).

لكن عواد قد اكتشف منذ ذلك الحين مقطعا في قول صغير للفارابي نشره محمد تقي دانش پژوه (14)، يُقدم فيه المعلم الثاني البنية الدقيقة لما يُكوّن القياسَ الشعريَ بحسبه.

في هذا القول الذي عنوانه **قول الفارابي في التناسب والتأليف**، يبدأ المؤلف بتسجيل ميل النفس للتأليفات المتناسبة، ومقاومة الجمهور، خاصة، للأقاويل الإقناعية. من هنا نستنتج أن أصحاب السياسة في حاجة إلى تزيين هذه الأقاويل باللجوء إلى وزن ما. يلي ذلك ملاحظة حول ابتكار القدماء اثنى عشر نوعا من الأوزان لاثني عشر صنفا من العشيرة. موقفان ممكنان بالتالي: موقف من أراد اتباع آثارهم على التحقيق، فينبغي له أن يتميز بالرياضيات، ثم بالطبيعيات لتعرف موافقة نظام المزاج لنظام الوزن. لكن لما كان الغرض هو أن يحصل بفضل الوزن بلوغُ غرض عملي، فقد يُكتفى من ذلك باستعمال طريقة المنجمين- الذين ليس لديهم علم الهيئة بالبرهان، ولكنهم لا يستعملون سوى الأزياج وبعض الحسابات والاتكال على الذوق والتجربة في الحكم على الأوزان التي تلائم كل لغة.

بعد إبراز الطابع الموسيقي للشعر، إن جازت العبارة، يلح الفارابي على استكمال محتواه الدلالي، الذي يعبر عنه بمفهوم القياس الشعري(15):

كما أنه في القياس السوفسطائي إيهام الشيء ضدا له لما توهم الساكن متحركا، مثل القمر يظن أنه متحرك من حركة الحساب. والصحيح مكسورا نخشبة قائمة في ماء، وتوهم الصغير عظيما كدرهم في ماء، أو كوكب في بخار وكإيهام الحلو مرا كالعسل في فم المحرور؛ فكذلك يكون القياس الشعري يخيّل ما ليس بأنه أيس، أعني ما ليس بموجود أنه موجود، مثل رؤية الهلال والشخص في الماء، كتخيل الشيء في المنام والأحلام نحكم بوجودها لوجودها في التخيل ونجعل قياسية(16) بالنظائر والأشباه، مثل أن الإنسان حسن، والشمس حسن، فالإنسان إذًا شمس؛ وأن النار سريع القتل(17) والسيف سريع القتل، فالسيف إذا نار.

وعلى هذا بناء هذا القياس، والمعول فيه على انفعال النفس من موافقة وزن الشعر على ذلك المعنى. قد أخطأ من قال: [إن](18) في أقسام أجزاء كتب المنطق، إن الشعر كذب محض، لأن الشعر ليس الغرض عنه أن يكون كذبا أو لا كذبا، ولكن الغرض والغاية منه تحريك الخيال وانفعال النفس، وقد ظهر من حده وهو هذا: الشعر كلام مؤلف مخيل محصور في إيقاع متفق ذي جمل متساوية الإيقاع متكررة متشابهة حروف الخواتيم.

لنبدأ بملاحظة صغيرة عن العلاقات التي بين القول القصير والمقالتين الأخريين في الشعر:

في ما يتعلق بالتمييز بين القياسات السفسطائية والشعرية، نجد في **مقالة في قوانين صناعة الشعر** (19)، مقطعا يتوافق تماما على مستوى المعنى مع مقطع مقالتنا القصيرة. والأمثلة ذاتها

شديدة التشابه. غير أن نقطة الانطلاق في **القوانين** ليست هي الاختلاف بين القياس الشعري والقياس السفسطائي، وإنما الاختلاف بين الغرض من القول المُغلط والغرض من القول **المحاكي** (=الشعري).

وهو ذا ما يكتبه الفارابي في **القوانين**:

> المغلط هو الذي يغلط السامع إلى نقيض الشيء، حتى يوهمه أن الموجود موجود فأما المحاكي للشيء فليس يوهم النقيض، لكن الشبيه. ويوجد نظير ذلك في الحس، وذلك أن الحال التي توجب إيهام الساكن أنه متحرك مثل ما يعرض لراكب السفينة عند نظره إلى الأشخاص التي على الشطوط أو لمن على الأرض في وقت الربيع عند نظره إلى القمر والكواكب من وراء الغيوم السريعة السير هي الحال المغلطة للحس، فأما الحال التي تعرض في المرائي والأجسام الصقيلة فهي الحال الموهمة شبيه الشيء.

ما ينقص في **القوانين** هو أمثلة القياس الشعري التي تلي في مقالتنا.

تعريف الشعر الذي يختتم به هذا الأخير يشبه كثيرا القول الذي يبدأ به الفارابي **كتاب الشعر** [20]. إن الأمر يتعلق بما يجعل الشعر أكمل وأفضل. ومن بين النقط المقدمة بهذه المناسبة، تُشبه النقط التالية تلك التي في **قول الفارابي في التناسب**.

> فإذًا [الأشعار] إنما تصير أكمل وأفضل بألفاظ ما محدودة إما غريبة وإما مشهورة، وبأن تكون المعاني المفهومة عن ألفاظها أمورا تحاكي الأمور التي فيها القول، وأن تكون بإيقاع وأن تكون مقسومة الأجزاء وأن تكون أجزاؤها في كل إيقاع سلابات وأسباب وأوتاد[21] محدودة العدد، وأن يكون ترتيبها في كل وزن ترتيبا محدودا وأن ترتيبها في كل جزء هو ترتيبها في الآخر. فإن بهذا تصير أجزاؤها متساوية في

زمان النطق بها وأن تكون ألفاظها في كل وزن مرتبة ترتيبا محدودا وأن تكون نهاياتها محدودة...

تتكامل التفسيرات في المقالات الثلاث تكاملا تاما. ما اختصر في تعريف **القول** توجد أسبابه مبسوطة في بداية **كتاب الشعر**، بطريقة أكثر تبلورا، لكن من جهة أخرى، لدينا أمثلة للقياس الشعري في **القول** وهي الأمثلة التي تنقص في الأماكن المقابلة من **القوانين** و**كتاب الشعر**. لا مجال للشك إذن في كون المقالات الثلاث هي لنفس المؤلف وهو الفارابي.

والآن، في ما يتعلق بالقياس الشعري نفسه، بنيته، كما يظهر المثالان، هي بنية قياس غير منتج من الشكل الثاني:

فلان حسن

الشمس حسن

فلان شمس

هكذا تتأكد فرضية شويلر التي تقول إن الفارابي كان يقصد هذه الصورة غير القياسية عندما اعتبر القياس الشعري (وكذا الاستقراء والتمثيل، إلخ.) "قياس[ا] بالقوة". وفي المقابل، ينبغي التخلي عن فرضيته الأخرى التي تقول إنه يمكن تحويلُ قياس غير منتج إلى قياس منتج عن طريق عكس المقدمة "الشمس حسن" إلى "الحسن شمس"، والتي تقول إن هذا الإجراء سيكون له ما يوازيه على مستوى الاستقراء.

من أجل فهم أفضل للقياس بالقوة نحيل على مقاطع من **كتاب الخطابة** للفارابي الذي يعالج الصنف غير المنتج من الشكل الثاني:

ثم ينظر بعد ذلك إلى الضروب المقترنة التي ليست قياسية فيميز منها ما يظن به في الظاهر أنه قياس فيستعمل. فمنها الضرب المقترن مقدماتها كلها موجبة في الشكل الثاني، فإنه في بادئ الرأي قياس قد صرح بمقدماته كلها، أخذت كلية أو جعلت مهملة. فإذا حذفت إحداهما وذكرت الأخرى مهملة، كان أمر التمويه أخفى، وكانت مواضع العناد فيه بالحقيقة أكثر ...

والعلامة صنفان: أحدهما هو الذي يكون فيه الحد المشترك أعم من المحمول والموضوع جميعا، والثاني أن يكون الحد المشترك أخص من المحمول والموضوع جميعا. فالذي يؤخذ حده المشترك أعم من الطرفين يأتلف في الشكل الثاني، ولا يمكن أن يرجع إلى الشكل الأول، لأنه لو كان يرجع بالانعكاس لكان ما ينعكس منهما يتساوى موضوعه ومحموله، ولم يكن أعم من كل واحد من الطرفين. وإنما كان ينعكس لو كان بإحدى حالين: إما أن تكون إحدى المقدمتين أو كلتاهما موجبة كلية يساوي موضوعها محمولها، وإما أن تكون سالبة كلية فإذ كنا قد وضعنا الحد الأوسط أعم من الطرفين، فليس ولا واحدة منهما، لا سالبة كلية ولا موجبة يساوي محمولها موضوعها.

وأما الصنف الثاني من العلامة، وهو الذي يكون حده المشترك أخص من الطرفين فإنه يأتلف في الشكل الثالث لا محالة. فالأعم والأخص يوهمان في الظاهر بوجودهما وجود المحمول في الموضوع من غير أن يكون كذلك. من قبل أن تأليف الأعم ليس بقياسي أصلا في الحقيقة لا على تلك النتيجة ولا على غيرها. وأما على تأليف الأخص فإنه وإن كان تأليفا قياسيا، فليس بقياس على الشيء الذي جعل علامة له كما جعل، وإن كان قياسيا مما ينتج شيئا آخر لأنه إنما جعل علامة لوجود

شيء في كل أمر ما؛ وليس في شيء من ضروب الشكل الثالث ما ينتج كلية أصلا...

وظاهر أن هذه أدلة كلها في الرأي المشهور السابق؛ وما كان هكذا فممكن أن لا يكون دليلا في الحقيقة، أو يكون دليلا في الحقيقة ولا يشعر به أنه كذلك، إذا أخذ من طريق شهرته فقط. فتفيدنا من المدلول عليه أيضا ظنا. فمن هذه تكون الضمائر مقنعة(22).

أحد نوعي القياس الذي يُنظر فيه في هذه المقاطع من **كتاب الخطابة** مطابق من حيث بنيته للقياس الشعري: فالحد الأوسط فيه محمول في المقدمتين، اللتين هما قضيتان موجبتان. وبسبب من هذه البنية، هذا النوع من القياس غير منتج في الحقيقة. والحال أنه عند مقارنة مقطع **كتاب الخطابة** مع مقطع **قول الفارابي في التناسب** يُلاحظ أن القياس، في هذا الحالة الأخيرة، لا أثر له إلا على التخيل، في حين أنه، في الحالة الأولى، قد أخذ في "الظن"، و"الظاهر" و"بادئ الرأي" على أنه قياس حقيقي: قياس مقنع. وعلى هذا النحو، فالأمر يتعلق بقياس خطابي، بقياس الضمير(23).

على الرغم من التطابق في المظهر الخارجي، أعني في كلية الحد الأوسط في ما يتعلق بموضوعي المقدمتين، فإن اختلافا رئيسيا يبقى بينهما في ما يتعلق بالقيمة التدليلية للقياسين. لا يقدم الفارابي تفسيرات عن أسباب هذا الاختلاف. وربما ينبغي هنا تشغيل المبدأ الذي يقول إن القضايا التي تُواجه بأقل الاعتراضات هي القضايا الأكثر إقناعا(24). ومن هذا المنظور، تكون نتيجة القياس الشعري (فلان أسد، لأنه شجاع مثلا) عرضة للمنازعة أكثر بكثير من نتيجة القياس الخطابي من الشكل الثاني (سقراط محموم، لأنه يتنفس متواترا)، على أن يُفهم، مع ذلك، أن تقديرَ قوة الاعتراضات لن يكون تابعا، في الخطابة،

إلى حكم موضوعي أساسا، وإنما فقط إلى بادئ الرأي(25). وإذن، فالقياسات الفاسدة من الشكل الثاني التي ينشغل بها الشعر تؤدي إلى نتائج يمكن تقديم أكبر قدر ممكن من الاعتراضات عليها، إن جازت العبارة؛ وليست هذه حالة نتيجة القياسات الفاسدة من الشكل ذاته في الخطابة. وبسبب من هذا، تسمح الأقيسة الفاسدة من الشكل الثاني للشعر بإعمال تقاربات تَأسر الخيال، لكنها لا تُقنع.

وبالجملة، بهذا المقطع من **قول الفارابي في التناسب** الذي فحصناه هنا تكون لدينا مرة أخرى شهادة لأهمية المعلم الثاني في بلورة مذاهب رئيسية في الفلسفة العربية: فهو لم يكتف بالتشديد على دور التخييل في الخطاب الشعري واستئناف المذهب القديم في انتماء الخطابة والشعر إلى المنطق، وكذا مذهب القياس الشعري، بل قام أيضا بتصور البنيات الصورية لهذا الأخير وتوضيحها بالأمثلة. ويتبين من تحليله، أن القياس الفاسد من الشكل الثاني هو إحدى قواعد استعمال التخييل الشعري.

1-أنجز هذا المقال بمساعدة المؤسسات التالية: المركز الوطني للبحث العلمي (فرنسا)؛ جامعة بال (سويسرا)؛ المركز الوطني للإنسانيات (الولايات المتحدة الأمريكية).

2- Gregor Schoeler, "Der poetische Syllogismus. Ein Beitrag zum Verständnis der 'logischen' Poetik der Araber," *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, 133 (1983): 43–92.

3- Schoeler, "Der poetische Syllogismus," 43–44.

4- Schoeler, "Der poetische Syllogismus," 45.

5-ابن سينا، **الشفاء، المنطق. 4. القياس**، تحقيق سعيد زايد، مراجعة إبراهيم مدكور (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1964)، 57، 11–12.

6- كان مقالنا قد اكتمل عندما أخبرنا دافيد رايزمان بحدث صدور كتاب:

Salim Kemal, *The Philosophical Poetics of Alfarabi, Avicenna and Averroes, the Aristotelian Reception* (Richmond Surrey: Routledge, 2001), 312 pages. ولم يكن ممكنا حينئذ أن نطلع عليه

7-توجد تأويلات هذه المؤلفة الأخيرة المذكورة في هذا المقال في:

Black, *Logic*, 209-41, et *id.*, "The 'Imaginative Syllogism' in Arabic Philosophy: A Medieval Contribution to the Philosophical Study of Metaphor," *Mediaeval Studies*, 51 (1989): 242–67.

8-ابن سينا، **القياس**، 57، 13–58، 4.

(the paradigm which he considers to be the foundation of poetry's claim to logical status) -9

Black, *Logic*, 231. -10

Cf. Schoeler, "Poetische Syllogismus," 49, et Black, *Logic*, 227–228. -11

Schoeler, "Poetische Syllogismus," 53. -12

13-"يظل مفهومُ قياسٍ شعري، عند الفارابي، غير مكتمل كمذهب منطقي، مُوفرًا، في أغلب الأحوال، وسيلة لفهم الفجوة التي تفصل المحاكاة الشعرية عن المعرفة البُرهانية لماهية الأشياء." (Black, 223; 224, n. 46).

14-**قول الفارابي في التناسب والتأليف، في المنطقيات للفارابي**. المجلد الأول: **النصوص المنطقية**، تحقيق محمد تقي دانش پژوه (قم: مكتبة آية الله المرعشي، 1408هـ/1988م)، 504، 1– 506، 6. وتوجد إحالات على هذه المقالة في:

(Leiden-Boston-Köln: Brill, 1999), I, 295, Hans Daiber, *Bibliography of Islamic Philosophy*, 2 vol. 813; II, 140.

ويوجد تقديم عام لهذه المقالة في:

International Congress of Aydin Sayili, "A Short Tract of al-Fârâbî on Poetry and Rhythm," dans *14th the History of Sciences* (Tokyo, 1974), Proceedings 3, 1975, 347–350.

وصايلي الذي يصر على"حَسْبَنَة" الإيقاع الذي يدعو إليه الفارابي في هذه المقالة، لا يثير المقطعَ المتعلق بالقياس الشعري. ونلاحظ أيضا استحضارا موجزا للمقالة التي نتحدث عنها في:

Joap Lameer, *al-Fârâbî and Aristotelian Syllogistics* (Leiden-New York-Köln: Brill, 1994), XI.

حيث ينبه لامير إلى الحذف الذي طال في هذا الكتاب فقرةً من أطروحته (غير المنشورة): "حُذِفت الفقرة: I. 6، 2) من الصيغة السابقة لأنني قد انتهيت إلى إعادة النظر في حكمي، وكذا في صحة نسبة **قول في التناسب والتأليف** إلى الفارابي (تحقيق دانش پژوه 1988/ 1990: المجلد الأول، 504–506." لم يكن بوسعنا الاطلاع على هذه الأطروحة وعلى هذا المقطع الذي قُدِّم على أنه قد حذف من قبل لامير. وعند اكتمال بروفات هذا المقال، أخبرنا أحمد حسناوي الذي بحوزته هذه الرسالة، أن لامير ينازع فيها نسبة **القول في التناسب** إلى الفارابي ويثير عَرَضًا في مجرى استدلاله أمثلةَ القياسات الشعرية، مؤكدا أنها لا يمكن أن تكون فارابية. [المترجم: وبالفعل، فإن يوب لامير يشكك في رسالته الجامعية المشار إليها في أصالة هذا القول وفي نسبته للفارابي، ويعتبر ورود الحديث في هذا القول عن القياس الشعري إنما هو شذوذ عن بقية أعمال الفارابي. انظر:

Joap Lameer, *al-Fârâbî and the Syllogism: Theory and Practice of Aristotelian Syllogistics in the Works of Abū Naṣr al-Fârâbî (d. 950/951 A.D)*, (Leiden, University of Leiden, 1992), 26–28.]

15-**قول الفارابي في التناسب**، 505، 16–506، 5.

16-تُقرأ "**قياسه**" بدل **قياسية**":(**قول الفارابي في التناسب**، 505، 22).

17-تُقرأ "**القتل**" بدل **الفعل**":(**قول الفارابي في التناسب**، 505، 23).

18-تحذف "**إن**": (**قول الفارابي في التناسب**، 506، 2).

19- Arthur J. Arberry (éd. et trad.), "Fārābī's Canons of Poetry," *Rivista degli Studi Orientali*, XVII (1938): 266–78, 267, 18–268, 5;

وأرسطو طاليس، **فن الشعر مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد**، تحقيق عبد الرحمن بدوي، الطبعة الثانية (بيروت: دار الثقافة، 1973)، 150، 12– 151، 2؛ **المنطقيات للفارابي**، المجلد الأول، تحقيق دانش پژوه، 494، 1–11. انظر:

Heinrichs Wolfhart, *Arabische Dichtung und griechische Poetik. Ḥāzim al-Qarṭāğannī's Grundlegung der Poetik mit Hilfe aristotelischer Begriffe* (Beirut- Wiesbaden: Orient-Inst. der Dt. Morgenländischen Ges.- Steiner [in Komm.], 1969), 133–134.

20-الفارابي، **كتاب الشعر**، تحقيق محسن مهدي، **شعر**، المجلد الثالث، 12 (1959): 90–95، 91، 4–12؛ **المنطقيات للفارابي**، المجلد الأول، تحقيق دانش پژوه، 500، 3–9؛ **تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الشعر تأليف أبي الوليد ابن رشد ...ومعه جوامع الشعر للفارابي**، تحقيق محمد سليم سالم (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1391ه/1971م)، 171، 3–8. وانظر: Heinrichs, *Arabische Dichtung und griechische Poetik*, 141–142.

21-يدل هذان المصطلحان الأخيران عند العروضيين على مكونات التفعيلة [انظر:

Caspari and edited with *A Grammar of the Arabic Language*, translated from the German of revised by W.R. Smith and M.J. de numerous additions and corrections by W. Wright, third edition Goeje, 2 vol. (Cambridge, AT The University Press, 1933), II, 358–9].

22- Al-Fārābī, *Deux ouvrages inédits sur la Rhétorique*, I: *Kitāb al-Ḥaṭāba*, éd. et trad. J. Langhade; II: *Didascalia in Rhetoricam Aristotelis ex glosa Alpharabi(i)*, éd. M. Grignaschi (Beyrouth: Dar al-Mashriq, 1971), p. 93, 8–13 (ar.) = 92, 13–22 (fr.); 111, 9–113, 4 (ar.);

أبو نصر الفارابي، **كتاب في المنطق. الخطابة**، تحقيق محمد سالم سالم (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976)، 46، 8–13؛ 56، 1–17؛ 59، 15–18؛ **المنطقيات للفارابي**، المجلد الأول، تحقيق دانش پژوه، **كتاب الخطابة**، 480، 1–5؛ 487، 13–488، 6؛ 490، 14–17.

23-لا يقدم الفارابي مثالا لهذا النوع من الضمير. لكن ابن رشد الذي اعتاد أن يستعمل **كتاب الخطابة** [انظر: G. Schoeler, "Averroes' Rückwendung zu Aristoteles. Die 'Kurzen' und die 'Mittleren' Kommentare zum Organon," *Bibiotheca Orientalis*, 37 (1980): 294–301, 297–8; Maroun Aouad, "Les fondements de la *Rhétorique* d'Aristote reconsidérés par Averroès dans *L'Abrégé de la rhétorique*, ou le développement du concept de 'point de vue immédiat'," in *Peripatetic Rhetoric After Aristotle*, R.U.S.C.H. VI, éd. W.W. Fortenbaugh et D.C. Mirhady (New Brunswick-London: Transaction Publishers, 1994), 292–304], ainsi que le *Grand commentaire* (perdu) *à la Rhétorique* par al-Fārābī [voir Maroun Aouad et Marwan Rashed, "Commentateurs 'satisfaisants' et 'non satisfaisants' de la *Rhétorique* selon Averroès," dans G. Endress and Jan A. Aertsen (éds.), *Averroes and the Aristotelian Tradition. Sources, Constitution and Reception of the Philosophy of Ibn Rushd (1126–1198)*.

Proceedings of the Fourth Symposium Averroicum (Cologne, 1996), (Leiden-Boston-Köln: Brill, 1999), 83–98]

يُقدم عدة أمثلة في عمله. وهكذا، نجده يكتب في تقديمه للعلامة في **تلخيص كتاب الخطابة**: "وأما ما هو أعم من الطرفين فإنه يأتلف في الشكل الثاني؛ إلا أنه غير منتج إلا في بادئ الرأي. مثال ذلك في المادة الممكنة على الأكثر قول القائل: «سقراط يتنفس متواترا، والمحموم يتنفس متواترا، فسقراط محموم.» فهاتان المقدمتان صادقتان والنتيجة قد تكون كاذبة، إذ قد يمكن أن يتنفس سقراط متواترا لموضع إحضاره. ولما كان ذلك خافيا على كثير من الناس، إذا رأوا في أمثال هذه المقدمات الصادقة أنها تنتج كذبا، ظنوا لذلك أنه قد انطوى فيها كذب، فيرومون أن يعاندوا المقدمات، فيعسر ذلك عليهم لمكان صدقها، فيتحيرون لذلك." تحقيق وترجمة مارون عواد إلى الفرنسية (قيد الصدور) [المترجم: (باريس: ڤران، 2002) ج.2، ف. 1. 2. 31.]؛ **تلخيص ابن رشد كتاب الخطابة لأرسطو**، تحقيق عبد الرحمن بدوي (القاهرة، 1960؛ أعيد طبعه. الكويت- بيروت: وكالة المطبوعات-دار القلم، د.ت.)، 23، 22–24، 6؛ ابن رشد، **تلخيص الخطابة**، تحقيق محمد سليم سالم (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1967)، 44، 8–15).

24-الفارابي، **كتاب الخطابة**، لانغاد، 37، 9–65، 10 (عر.) =36، 12–64، 16 (فر.)؛ 89، 7–9 (عر.)=88، 12–15 (فر.)؛ الفارابي، **كتاب الخطابة**، دانش پژوه، 458، 18–469، 8؛ 478، 7–9؛ الفارابي، **كتاب الخطابة**، سالم، 12، 12–28، 3؛ 44، 13–15.

25-الفارابي، **كتاب الخطابة**، لانغاد، 37، 9–65، 10 (عر.) =36، 12–64، 16 (فر.)؛ 89، 7–9 (عر.)=88، 12–15 (فر.)؛ الفارابي، **كتاب الخطابة**، دانش پژوه، 458، 18–469، 8؛ 478، 7–9؛ الفارابي، **كتاب الخطابة**، سالم، 12، 12–28، 3؛ 44، 13–15.

بيبليوغرافيا

ابن رشد، أبو الوليد، **تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الشعر تأليف أبي الوليد ابن رشد ...ومعه جوامع الشعر للفارابي**، تحقيق محمد سليم سالم (القاهرة: الأعلى للشؤون الإسلامية، 1391/ 1971).

ابن رشد، أبو الوليد. **تلخيص ابن رشد كتاب الخطابة لأرسطو**، تحقيق ع. بدوي (القاهرة، 1960؛ أعيد طبعه في الكويت- بيروت: وكالة المطبوعات ودار القلم، د.ت.)

ابن رشد، أبو الوليد. **تلخيص الخطابة**، تحقيق محمد سليم سالم (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1967).

ابن رشد، أبو الوليد. **تلخيص كتاب الخطابة**، نشرة وترجمة مارون عواد، ثلاثة مجلدات (باريز، عام 2002).

ابن سينا، أبو علي. **الشفاء، المنطق.** 4. **القياس،** تحقيق سعيد زايد، مراجعة إبراهيم مدكور (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1964).

أرسطو طاليس، **فن الشعر مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد،** تحقيق عبد الرحمن بدوي، الطبعة الثانية (بيروت: دار الثقافة، 1973).

الفارابي، أبو نصر. **جوامع الشعر،** نشر ضمن **تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الشعر تأليف أبي الوليد ابن رشد ومعه جوامع الشعر للفارابي،** تحقيق محمد سليم سالم (القاهرة: الأعلى للشؤون الإسلامية، 1391/ 1971).

الفارابي، أبو نصر. **قول الفارابي في التناسب والتأليف، في المنطقيات للفارابي.** المجلد الأول: **النصوص المنطقية،** تحقيق م. ت. دانش پژوه (قم: مكتبة آية الله المرعشي، 1408/ 1988).

الفارابي، أبو نصر. **كتاب الشعر،** تحقيق محسن مهدي، **شعر،** المجلد الثالث، رقم 12 (1959): 90–5.

الفارابي، أبو نصر. **كتاب الشعر، في المنطقيات للفارابي.** المجلد الأول: **النصوص المنطقية،** تحقيق محمد تقي دانش پژوه (قم، 1408/ 1988).

الفارابي، أبو نصر. **كتاب في المنطق. الخطابة،** تحقيق محمد سليم سالم (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976).

الفارابي، أبو نصر. **مقالة في قوانين صناعة الشعراء للمعلم الثاني، في المنطقيات للفارابي.** المجلد الأول: **النصوص المنطقية،** تحقيق محمد تقي دانش پژوه (قم: مكتبة آية الله المرعشي، 1408/ 1988).

Al-Fārābī, *Deux ouvrages inédits sur la Rhétorique*, I: *Kitāb al-Ḥaṭāba*, éd. et trad. J. Langhade; II: *Didascalia in Rhetoricam Aristotelis ex glosa Alpharabi(i)*, éd. M. Grignaschi (Beyrouth: Dar al-Mashreq, 1971).

Aouad, Maroun. "Les fondements de la *Rhétorique* d'Aristote reconsidérés par Averroès dans *L'Abrégé de la rhétorique*, ou le développement du concept de 'point de vue immédiat'," dans *Peripatetic Rhetoric After Aristotle*, R.U.S.C.H. VI, édité par W.W. Fortenbaugh et D.C. Mirhady, 261–313. New Brunswick–London: Transaction Publishers, 1994.

Aouad, Maroun et Marouan Rashed, "Commentateurs 'satisfaisants' et 'non satisfaisants' de la *Rhétorique* selon Averroès," in *Averroes and the Aristotelian Tradition. Sources, Constitution and Reception of the Philosophy of Ibn Rushd (1126– 1198). Proceedings of the Fourth Symposium Averroicum* (Cologne, 1996), édité par G. Endress and Jan A. Aertsen, 83–124. Leiden-Boston-Köln: Brill, 1999.

Arberry, A.J. (éd. et trad.). "Fārābī's canons of poetry," *Rivista degli Studi Orientali*, XVII (1938): 266–78.

Black, Deborah L. "The 'imaginative syllogism' in Arabic philosophy: A medieval contribution to the philosophical study of metaphor," *Mediaeval Studies*, 51 (1989): 242–67.

Black, Deborah L. *Logic and Aristotle's* Rhetoric *and* Poetics *in Medieval Arabic Philosophy* (Leiden-New York-København-Köln: Brill, 1990).
(Leiden-Boston-Köln: Brill, 1999). Daiber, Hans. *Bibliography of Islamic Philosophy*, 2 vol.
Heinrichs Wolfhart, *Arabische Dichtung und griechische Poetik. Ḥāzim al-Qarṭāğannī's Poetik mit Hilfe aristotelischer Begriffe* (Beirut-Wiesbaden: Orient-Inst. der Dt. *Grundlegung der* Morgenländischen Ges.- Steiner [in Komm.], 1969),
Aristotelian Kemal, Salim. *The Philosophical Poetics of Alfarabi, Avicenna and Averroes, the Reception* (Richmond-Surrey: Routledge, 2001).
Lameer, Joep. *al-Fârâbî and Aristotelian Syllogistics* (Leiden-New York-Köln: Brill, 1994).
International Congress of the Sayili, Aydin. "A short tract of al-Fârâbî on poetry and rhythm," in *14th History of Sciences*, Proceedings 3 (Tokyo, 1974), 347–50. Tokyo: Science Council of Japan, 1974.
Schoeler. Gregor, "Averroes' Rückwendung zu Aristoteles. Die 'Kurzen' und die 'Mittleren' Kommentare zum Organon," *Bibiotheca Orientalis*, 37 (1980): 294–301.
Schoeler. Gregor, "Der poetische Syllogismus. Ein Beitrag zum Verständnis der 'logischen' Poetik der Araber," *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, 133 (1983): 43–92.
Caspari and Wright, William. *A Grammar of the Arabic Language*, translated from the German of revised by W.R. edited with numerous additions and corrections by W. Wright, third edition Smith and M.J. de Goeje, 2 vol: vol. II. Cambridge, at the University Press, 1933.

****